حوار الحضارات

الدكتور سلطان القحطاني*

في هذا الزمن الذي تسيطر فيه معطيات العولمة على عقول أصحابه المدبرة؛ لن يجد الإنسان جدوى من التعنت ضد الآخرين، بل يجب تجديد الخطاب الموجه للآخر بما يتلاءم وظروف العصر ومعطياته العلمية والصناعية والفكرية وحتى الاجتماعية، وسبق أن تحدثنا في هذا الشأن منذ بضع سنين في المحاضرات واللقاءات، وآخرها محاضرات ألقيتها في بعض الأندية الأدبية، حول خطابنا الحضاري نحو الآخر، وهو المحور الذي يجب أن يكون في مقدمة الحوار المتمثل في لغة العقل والتفاهم، فالحضارة تعني العقل والتفكير والتروي، وهذا ما أخذه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ملك القلوب والإنسانية على عاتقه في إطلاق هذا المشروع الحضاري؛ لتقريب وجهات النظر بدلاً من تشتيتها وكسب الآخر بدلاً من جلب عداوته، مستمداً معطيات مشروعه من ثقافته العربية الإسلامية الداعية إلى السلام والمحبة والتسامح، بطرح المشكلة - إن وجدت - على بساط البحث والتفاهم حول النقاط التي تحتاج إلى نقاش، وإصلاح ما يمكن إصلاحه منها، ولن تتعارض هذه المعطيات مع الدين ولا العقيدة ولا الأصول العربية، بل أرى العكس من ذلك، إنها عامل قوي في سندها، فاليوم وقد أصبح العالم قرية صغيرة، يعرف كل من سكانها الآخر، ولا شيء يمكن إخفاؤه؛ فقد آن الأوان لكي نحاور الآخر، من أصحاب القرار السياسي والديانات والمصالح التجارية فيما يخصنا جميعاً، أعني: المصالح المشتركة، ولكل دينه ومذهبه.

وقد أدرك الملك عبدالله بن عبدالعزيز هذه الكليات والجزئيات، في عالم يمور بالتكتلات ورعاية المصالح، فبادر بإطلاق مشروع (حوار الحضارات) كل حضارة تحاور الأخرى، سواء خرجتا بنتيجة أو لا، والذي لا يحصل عليه اتفاق اليوم سيحصل الاتفاق عليه غداً بتنازل أحد الطرفين بعد أن يدرس الموضوع ويقرر ما يريد. ومشروع كهذا أجمعت الأطراف العالمية على نجاحه وتعاطفت معه؛ لم يأت من فراغ، بل جاء بعد دراسات وتقصٍّ لأبعاده العالمية والمحلية، وهذه هي الحكمة التي أمر الله بها نبيه الكريم في قوله - تعالى-:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(سورة النحل:١٢٥).

وإن التاريخ قد كتب اليوم من منطلق التفاهم الذي أطلقه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز؛ ليؤكد للعالم أننا أصحاب حضارة ولسنا إرهابيين ولا معتدين كما صورنا الآخرون الذين لا يدركون مدى خطورة ما يقومون به على الأمة من ويلات وحروب هم السبب فيها، وإن ما تقوم به هذه الفئات خطأ لا يغتفر في حق الدين والأمة والوطن. إننا بحاجة إلى مزيد من الحوار وتقريب وجهات النظر مع الآخر، فما أحوجنا إلى بعضنا في هذا العالم العولمي لرعاية مصالحنا وخدمة أجيالنا، ها هو خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز قد رسم لنا الطريق، وعلينا أن نقتفي الأثر ونحافظ عليه؛ لنرتق بأمتنا إلى مصاف العزة والكرامة والعلوم النافعة.

■ خادم الحرمين الشريفين رسم لنا الطريق وعلى قادة الفكر والرأي أن يحافظوا على هذه الفرصة وأن يحققوا الأهداف التي انطلقت من أجلها المبادرة الكريمة.

* أكاديمي وناقد وروائي.